

تفسير البغوي

90 - قوله D : { وقالوا لن نؤمن لك } لن نصدقك { حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا } قرأ أهل الكوفة و يعقوب { تفجر } بفتح التاء وضم الجيم مخففا لأن ينبوع واحد وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير واتفقوا على تشديد قوله : { فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا } لأن الأنهار جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله (تفجيرا) من بعد .

وروي عكرمة عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعه بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأميه بن خلف والعاص بن وائل ونبها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا : يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الأمر الذي بك رأيي تراه قد غلب عليك .

لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن : الرئي .

فقال رسول الله ﷺ A : ما بي ما تقولون ما جئكم بما جئكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله ﷻ بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن قبلوا ني فهو حظكم في الدنيا الآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله ﷻ حتى يحكم الله ﷻ بيني وبينكم .

فقالوا : يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منا بلادا ولا أشد منا عيشا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال فقد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهارا كأ نهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ؟ فإن صدقوك صدقناك .

فقال رسول الله ﷺ : ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر لأمر الله .
قالوا : فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جناحنا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه .

فقال : ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا .
قالوا : فاسقط السماء كما زعمت إن ربك لو شاء فعل .
فقال : ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فعله .

وقال قائل منهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بأية والملائكة قبيلة .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم ثم سألوكم لأنفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ثم سألوكم أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أؤمن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا لما رأى من مبادئهم فأنزل الله تعالى : { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض } يعني : أرض مكة { ينبوعا } أي : عيونا